الفكر الاسلامي

المشرف العام:

الدكتور حسين القوتلي

مدير التحرير

محمد خشان

المدير المسؤول

موفّق مدني

مدير الادارة

يحيى قرواني

المسؤول الفني
والاتصالات الخارجية

محمود المدني

دار الفتوى

بيروت ـ لبنان
ص.ب ١٤٥٣٨٠
هاتف: ٣٠٣٧٠٨ ـ ٣٠٤٥١٩
تلكس: LFATWA 22590 LE

الصهيونية اكبر خطر حقيقي يواجه العالم العربي والاسلامي، ويقض مضاجع ابنائه واتباعه، الا أن المطلوب اسلاميا وعربيا اليوم ليس تمثيل ادوار درامية امام هؤلاء اعتقادا ان هذا هو الحل وان هذا هو سبيل السلام، وانما المطلوب معرفة العدو الصهيوني معرفة عميقة تفهمنا اننا امام خطر داهم لا يصلح معه التفاوض او التصالح او الدعوة لنزعات السلام، لأن الوهن والضعف أمام عدو كهذا لا يزيده الا شراسة، ولا يزيده الا شعورا بانه يقترب من تحقيق أهدافه.. بل علينا الوقوف بوجهه بكل قوة وعزم وايمان انطلاقا من قوله تعالى «فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون».

في المقال يحاول الكاتب ابراهيم بشير الغويل ان يبين حقيقة هذا الخطر الكبير ويشرح ابعاد اهدافه ومطامعه.

راجع ص ٥٥ ـ ٦٢

ثمن العدد:

* لبنان ١٥٠ ل.ل * سوريا ١٠ ل.س * الكويت ٨٠٠ فلس * الأردن ٧٠٠ فلس * اليمن ٨ ريالات * أبو ظبي ٨ دراهم * دبي ٨ دراهم * العراق ٩٠٠ فلس * قطر ١٠ ريالات * البحرين ٩٠٠ فلس * عُمان ٨٠٠ بنسة * السعودية ٨ ريالات * ليبيا ١٠٠٠ درهم * تونس ٩٠٠ مليم * الجزائر ٨ دنانير * موريتانيا ٢١٠ أوقيا * المغرب ٨ دراهم * مصر ١٠٠٠ مليم * السودان ٢٠٠ قرش.
* فرنسا ١٢ فرنكاً * بريطانيا ١٥٠ بنساً * البرازيل ١٥٠ سنتاً * أميركا ٣ دولارات * كندا ١٥٠ سنتاً * قبرص جنيهاً قبرصياً * إيطاليا ٢٥٠٠ لير * باكستان ٣٠ روبية * المانيا ٦ ماركات.

التوزيع:

الشركة العربية للتوزيع

مجلة شهرية إسلامية فكرية
تصدر عن دار الفتوى في
الجمهورية اللبنانية

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
...كر الإسلامي		
...سان ودنيا الإسلام	المفتي الشيخ حسن خالد	٦
...طلق الحقيقي	فهمي هويدي	٩
...ضارة في وسائل	رضوان السيد	١٥
...تركية	د. محمد عمارة	٢١
...ضارية	محمد فتحي بكوش	٣٣
...ة ضد الطبقية	قدري حنفي	٤١
...ضاري داخل الكيان الصهيوني	ابراهيم بشير الغويل	٥٥
...ا وخطرها على الأديان	مصطفى نصر المسلاتي	٦٣
...ة الحديثة في الاستشراق		
...ت ارسلان وممارسته السياسية	د. سعود المولى	٧٣
...ر والعالم العربي	محمد بديع الخطيب	٨٧
...سلام		
...ر وحوار حول	حاوره: عباس العرب	٩٧
...ب الأمهات		
...طلة في المملكة	يحيى أبو شعر	١٠٢
...سعودية	التحرير	١٠٨
	التحرير	١١٢
...لامية محلية	التحرير	١١٦
...لامية عالمية	التحرير	١١٨
	التحرير	١٢٠
...ون	التحرير	١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قرآن كريم

قال الله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾

حديث شريف

قال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله، قال لا، بل إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

حكمة

ثلاثة من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق؛ ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم؛ ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

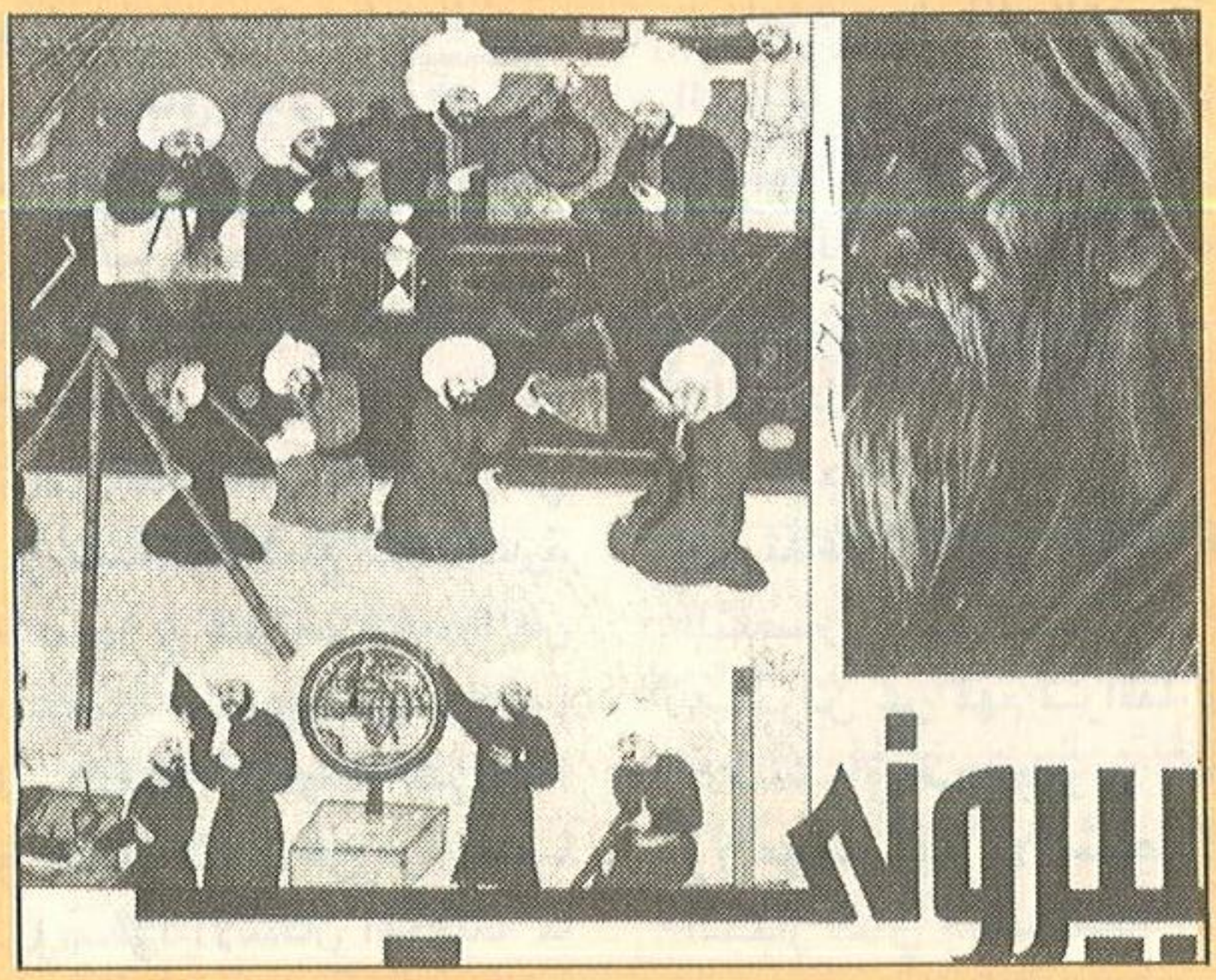

الاتجاهات الحديثة في الاستشراق

مصطفى نصر المسلاتي

في الحقيقة إننا اليوم مدعوون للتفكير فيما يعلمنا إياه ـ التحدي ـ الذي يواجه عقولنا، وللتفكير فيما يعلمنا إياه اكتشاف حضارة مغايرة، لا أقول حضارة مغايرة لحضارتنا ـ لأننا اليوم لا نملك حضارة بالمعنى العلمي الدقيق، وإنما نحن ورثة حضارة ـ كانت حضارة ـ وحراس تراث بقايا حضارة نقف فاغرين أفواهنا منبهرين مسلوبي الإرادة أمام تقدم جنوني لحضارات لا تعبأ بمشاعرنا ولا بشتائمنا العلمية ولا بريش الطاووس الذي نلبسه لنستر عوراتنا أمام أشعة اللايزر وأشعة ما فوق الأمواج الضوئية.

إن أصحاب الحضارة المهددة أو الثقافة المهددة من حقهم أن يصروا ويمكن أن يذهبوا ـ في تأكيدهم الغيور لهويتهم الثقافية [إلى حد التصريح بأن ثقافتهم هي ملكهم الخاص] وأن عليهم واجباً ثقيلاً هو دراسة حضارتهم بما تحويه من ثقافة ـ وبمنهجهم العلمي المنتمي لحضارتهم. عليهم بلورة صياغة جديدة تشع فيها إرادة التغيير نحو الأفضل والأشمل، نحو رؤية قومية لإعادة ديناميكية الحياة فيها من جديد...

وقد تحدث بعض الأجلاء عن عملية السيطرة الثقافية الجديدة الوافدة من مجتمعات الغرب وأشاروا إلى عملية الغزو الثقافي الذي تتعرض له الشعوب تحت وطأة «التطبع» والهيمنة. وتأكيداً لمصداقية هذا القول فإننا نقول أيضاً: [لقد اختفت بعض الثقافات تحت تأثير الحضارة الحديثة. بينما انغلقت ثقافات أخرى على نفسها بقدر المستطاع، كما دخلت الثقافات الأخرى وهي الأغلب بدون شك في تفاعل مع الحضارة المسيطرة وهو ما يتضمن في كل مرة قدراً من التحول، لقد وصف علماء الأنثروبولوجيا والأثنولوجيون رد فعل الثقافة المغلوبة على هذا التأثير أو السيطرة أو الفعل الذي مورس عليها وهذا أمر طبيعي، فقد وصفوا الأشكال المختلفة لما دعوه «المثاقفة» وبما أن هذا المصطلح ليس وارداً في قاموس روبير الصغير] فإنه لا يعني إلا أنها عملية الاستعارة الثقافية بين شعوب مختلفة بحيث ينتج عنها أشكال جديدة ومتمازجة، وتعني على وجه الخصوص التعديلات التي تلحق ثقافة بدائية ناتجة عن الاتصال بمجتمع متقدم].

وهذا العمل ـ حسب رأيي ـ ما حاولت فرنسا عمله في المغرب العربي بخلق الإنسان «المهجن» «إندجني» أو الإنسان الموزيك الذي هو لا [فرنسي ولا عربي]. وكذلك عملية (الطلينة) التي حاولت عصابة موسوليني فرضها على الليبيين، لتكوين ما يسمى بمستعمرة المنفى، وكذلك محاولات المستشرق الفرنسي «الجنرال ليوتي» LUTY في المغرب العربي، وإشعار القبائل العربية التي أسموها «بربرية» بأنهم جنس أوروبي أفريقي الموقع، وما حاولته الإرساليات التبشيرية وجهود المستشرقين نحو بعض العرب المسيحيين في لبنان أو سوريا وربطهم بضرع فرنسا الأم الحنون ـ كلُّ الجهود السابقة ابتدأت بتمهيد ودراسات معمقة لمستشرقين غربيين ـ وبمقتضى قانون الاستعمار الجديد والدراسات الاستشراقية والانثروبولوجية وحتى الحفريات الأثرية، فقد بحث العقائديون الغربيون أمر تقديم إجاباتهم الجاهزة حيال تلك القضايا المعقدة للأقطار النامية اليوم، وتمخضت جهودهم في الخمسينات والستينات عن نشر العديد من الطبعات المتعددة على نطاق واسع في الأقطار النامية «لنظرية التحديث» القائمة على المبادىء المنهجية لمدرسة [التحليل الإنشائي العملي] التي سادت حينذاك في علم الاجتماع البرجوازي. [ولكننا أمام عجزنا عن فهم ثقافة الآخرين، وربما قد يغفر لنا بعض هذا التقصير، فإنه لا يمكن أن يغفر لنا أحد أن نظل عاجزين عن فهم تراثنا، وثقافتنا، صحيح ان الاستشراق قد يبدو في بعض مجالاته متعسفاً. ولا موضوعياً.. لا منهجياً] ولكننا نحترم الجهد الجبار الذي بذله هذا الاستشراق في الكشف عن تاريخنا وحضارتنا. [فإذا عجزنا عن صنع طيارة، أو سيارة، أو دبابة، أو حاسب آلي بسبب هيمنة الاستعمار علينا، فإنه من العار ألاّ نقدّم دراسات جادةً عن ثقافتنا وهويتنا الحضارية وإعادة النظر فيهما وفق رؤية قومية شمولية].

[لقد كانت مطرقة إدوارد سعيد قاسية في نقده وتحليله للاستشراق، «المعرفة، السلطة، الإنشاء»، لكن نتاج هذه المطرقة ـ وهي تنحت ـ يعتبر نتاجاً عربياً صرفاً، لأن عمله هذا حصيلة ممارسة وتدريب ونشاط تَمَّ في الغرب].

ولأنها كتبت بلغة أجنبية، فإذا تَمَّ تغيير اسم المؤلِّف مثلاً فإن القاريء لا يعرف مَنِ الذي كتبه: أعربي هو أم أجنبي؟ ولكنه على كل حال جهد عظيم في مجاله إذا ما قورن بجهود المؤلِّفين الذين كتبوا باللغة العربية التي يمكن أن تندرج تحت نقاط ثلاث:

١ ـ معرفة تمت بعد احتكاك مباشر بالثقافات الأخرى وتمت بعد إلمام واسع بما كُتِب في هذا المجال فهي جهد متعمق.

٢ ـ معرفة تمت بعد احتكاك غير مباشرة يغلب عليها التردد وبعض الانتحال.

٣ ـ مؤلفات استشراقية تمت عن طريق

...حريب، وهذه تتخبط وفق مقدرة المعرّب، مما ...ى عنه].

...قد تطور العصر، وبتطوره اختفت بيننا ...ورة «المستشرق» الموسوعي المنكب على دراسة ...اث العرب والإسلام، من شعر ونثر وفلسفة ...جدة، واختفت صورة المؤلّفين الموسوعيين ...ين أثروا المكتبات بغزارة إنتاجهم وتعمقهم في ...ي مناحي النشاط الفكري.

...والباحث المتعمق سيكتشف «الصدمة» التي ...واجهه عندما يغرق في بحور الإطراء والمديح ...ي يغدقه «بعض المستشرقين» على تراث العرب ...ضارة المسلمين، حيث يُكرّس منطق نظرية ...ناء» حتى يشعر القاريء أو الباحث أن أولئك ...ستشرقين ينطلقون من مبدإ الحب والاقتناع ...يمان والنزاهة العلمية الموضوعية.

...لكن هذا الأمر لا يعدو أن يكون مظهراً خادعاً، ...ن القضية لا تستمر على مثل هذا النسق من ...طويل المغرق في الإطراء والتمجيد لأن ما ...ه» لن يستمر طويلاً حتى يتبعه منهج آخر ...د خطراً ألا وهو منهج «الهدم» وهو المنهج ...ي يجرد فيه الباحث موضوعه الذي أضناه ...اً وتمحيصاً من كلّ صفاته، ويغيّر أو يخلق ...خلق المعايير ليهدم ما بناه ويسقطه لبنةً لبنةً، ...كي أعطي مثلاً بسيطاً فإنني سأجد «مثالاً» ...واضعاً على ذلك ـ وهو هنا يعتبر متواضعاً ـ ...ما قورن بباحث مثل ألفرد غوليوم، أو جورج ...بل، أو ماكدونالد أو حتى هاملتون جب في ...دقته وبراعة صياغاته الاستشراقية الحديثة.

...إننا إذاً أمام هذا المثل البسيطه فلعلنا نجد ...كمة بعد استقراءات المنهج العلمي وفق ...ربات البناء والهدم[1].

...المستشرق جوستاف فون غرونباوم Von Grunepa... يتحدث هنا عن قضية قبول العرب ...ين الجديد وهو الإسلام:

...يقول جوستاف غرونباوم:

١ ـ إن نظام الدين الإسلامي، من أشد النظم والديانات إحكاماً وأعظمها توافُقاً وتماسكاً.

٢ ـ هذا النظام ينطوي على أجوبة مقنعة للمسائل التي كانت تشغل مواطنيه كما كان يتجاوب وروح العصر.

٣ ـ إنه رفع العالم الناطق بالعربية إلى مستوى العوالم الأخرى ذات الكتب المنزلة... إلخ.

٤ ـ كل ما سبق يوحي بأن جوستاف غرونباوم ينهج منهجاً موضوعياً إلى حدٍّ ما بحيث يمكن أن نقول: إنه يقترب من الحقيقة، لكننا لن نذهب بعيداً وسنرى بعد ذلك أنه يهدم كلَّ ما بناه للوصول إلى غرضه وأهدافه الأساسية وهو هنا يقول في وصف المجتمع الإسلامي الأول:

«كان الهواء يفوح بالزُّهد وكان الزُّهاد Gottsuche يحرِّمون الخمر ويستحبون الاعتدال الجنسي، وكما حدث في الإسلام بعد ذلك فالراجح أن العناصر المسيحية غلبت اليهودية في تكوين وجهات نظرهموسننهم، ولكن العربي الذي كان يبحث عن الصدق لم يكن يعنيه كثيراً ممن يأخذ آراءه الدينية التي يستولي عليها، ذلك أن حرمانه من كلِّ ميراث قومي أجبره على الأخذ من مختلف العقائد»[2].

ولقد حذا المستشرق هاملتون جب[3] H. GIBB حذو غرونباوم حيث: أشار في دراساته الحديثة إلى أن «محمداً» ﷺ «رفع فكرة الله ونزّهها من عوالقها الطبيعية ولم يكتف بأن يسميَه «الإلٰه الأعلى» بل إنه الواحد الصمد خالق السماوات والأرض» وأكد جب GIBB: «أن الأديان العربية القديمة وما فيها من قوى غيبية تمثل القبائل قبيل بدء الدعوة الإسلامية لم تعد ترضي المشاعر والاستبصارات الدينية لدى كثير من العرب، والدليل على ذلك هجر المزارات المحلية وازدياد الحج إلى المزارات المركزية التي تقدسها مجموعة من القبائل والكعبة من أهمها» إلخ.

وهكذا أيضاً فإن طبقة من المستشرقين اتجهوا في دراساتهم لتراث العرب والإسلام إلى منهج

التشكيك والبحث عن مبررات تخدم أهدافهم ونياتهم وخلفياتهم الثقافية المسبقة، نلاحظ هذا في دراسات المستشرق اليهودي رودي بارث في كتابه: «تفسير القرآن» وجولدزيهر والصيحات الفارغة من كل محتوى التي أطلقها عميد الأدب العربي طه حسين في كتابه المعروف: «الشعر الجاهلي» وما أثير حول هذا الموضوع من ضجة واستنكار معتمداً على تأثره العميق بجولدزيهر ومارجليوث.

إن الفكر الاستشراقي الأوروبي والفكر الأوروبي على وجه العموم سادت فيه العلوم الإنسانية والدراسات الإنسانية المختلفة والتي تحدد منهجها على يد شلير ماخر، ودلتاي DELTAY لقد أكد الأستاذ هارولد ب. سمث في كتابه: The Muslim Doctreine of its Bearing on Social Plicy and Political theory.

[إن الموقف العالمي الحاضر الذي يتميز أول ما يتميز بتصادم عنيف بين المذاهب الفكرية المتنافسة، ليجبر المفكرين على أن يعيدوا تقرير آرائهم في الاعتقاد، وفي فلسفات الحياة]..إلخ.

ولهذا السبب فإن مطابع الغرب تقذف بملايين الكتب والدوريات التي تتحدث عن الإنسان، عن مصيره، ونشاطه، وتقويمه، وظهرت فلسفات عدة كان أبرزها التيار الفلسفي الوجودي الذي شق مساره بعد صدمتين كبيرتين ساهمتا في تعميق مسار الوجودية، فالحربان العظميان، كانتا، جرساً مرعباً أنذر حضارة القرن العشرين وسباق التسلح فيه إلى ضرورة تعديل تقدم العلم المدمر للإنسان والحضارة حيث ظهرت سلسلة من الكتب والعناوين مثل كتاب (Stace) «مصير الإنسان الغربي»، وكتاب دونوي (Du Nouy) «المصير الإنساني»، وكتاب بردييف (Berdyaev) «مصير الإنسان»، وكتاب رينهولد نيبوهر (Reinhold Niebuhr) «طبيعة الإنسان ومصيره»، ولكننا نلاحظ للأسف أن جلَّ هذه الكتب لا تتحدث إلاَّ عن مصير الإنسان الغربي، وكأن الكرة الأرضية لا يعيش فوقها إلا الإنسان الغربي، وما عداه فإنه إما أن يخدَّر بكتب الاستشراق الذين يمجِّدون ماضي هذا الإنسان المتعب، وإما أن يلقَّح بحقن ثقافية حتى يسهل ترويضه، وإما أن تُجرى عملية التلقيح بالقوة عن طريق قادة وسياسيين يختارون بوسائل قمعية رسم السياسات الوطنية وفق اتجاهات الغرب ومنظور بعيد المدى.

[إن الناس هم المادة الأولية لأي نظام سياسي، وهم وحدات كلِّ نشاط سياسيٍّ، بل هم قطع اللعب في المناورات السياسية، ومن ثَمَّ كانت معرفتنا بعقيدتنا عن الإنسان، وحقيقته، وما يمكن أن يكون عليه مسألة ذات أهمية بالغة بالنسبة لنا، عندما نأخذ مواقعنا في المعسكرات السياسية المختلفة][4].

هكذا تحدث هارولد سمث وهو محقٌّ في قوله، لأن الاستشراق في اتجاهاته الحديثة بعد فهمه «للنَّاس» وهم جملة أقطار الأمة العربية التي يعنينا أمرُها، وفق المنظور القومي، غَيَّرَ هذا الاستشراق أساليبه القديمة وتكتيكاته المعتادة، ولكنه لم يتخل لحظة واحدة عن استراتيجيته المحددة، لأنه يعلن أن صورة المستشرق القديم لم تعد محبَّبة، ولم تعد صورة المستشرق الموسوعي المنكب على كتب التراث وأكداس المخطوطات مستساغة، وإنما يجب أن يتطور المنهج والأسلوب، ولم يعد مثلاً مقبولاً، بل لن نجد أذناً تسمع مستشرقاً يتبجح ويتظاهر باكتشاف «رهيب» من أن القرآن أو بالأحرى محمداً قد اقتبس من الإنجيل أو التوراة ليسد ثغرة في كتابه الذي ألَّفه!!

بل سوف تجد مستشرقاً حديثاً (Modern) يخلط منهجاً علمياً في مجال البحث الديني، بمنهج من مناهج علم النفس، ليخلص في النهاية إلى أن القرآن ليس هو كلام الله وإنما كان محمدٌ يتميز عن رجالات قريش أو بني هاشم بأنه يملك حدساً خلاقاً أو تصوراً خَلاقاً (Creative Imagination) والذي عزا فيه النبوة أو الوحي إلى نوعٍ من

نشاط الذهني غير العادي الذي يظهر عند بعض
وهوبين، ولعلنا نتذكر أن المنهج الفيولولوجي
د استخدم في مجال تحليل بعض النصوص
واء في مفردات من آيات القرآن أو صور
فردات شعرية وردّها إلى أصولها الأولى منذ
ن الجاهلية، كل ذلك من أجل الوصول إلى
داف واضحة تعبر أصدق تعبير عن اتجاهات
ستشراق الحديثة.

إننا ربما لا نضيف جديداً إذا ما قلنا: إن
ستشراق - كعلم - يرتبط بالأيديولوجية
غربية وهو كقوة متنامية «رافقت التطور المادّيَّ
ائل منذ بداياته، ورغبة ملحة لمعرفة هذا الشيء
جهول وهو الشرق الذي تبدو صورته تدعو
شف والتحليل...»[4].

إذاً فهو حصيلة لإسقاطات هذا الوعي على
شرق، ويخضع الاستشراق في أساسه لموقف
يولوجي يؤلف الأرضية التي تتحرك فوقها
طته الفلسفية والعلمية والفنية ويتضمن
وماً نظرة انتقاص، وربما ازدراء لخصوصية
شرق والإنجازاته الحضارية»[5].

إن التغريب الذي غزا المجتمعات العربية، كان
ل مخططات وجهت نحو مجتمعاتنا وتريد
تاث ما بقي في البيت العربي من أي أثر قومي
م، وإلى جانب تيارات الفكر الغربي الذي حمل
ه بعض المستشرقين فإن شرذمة من المثقفين
رب ممن رضعوا لبان ثقافة الغرب غثّها
سينها كانوا خيرَ رسل لنشر ما يريد الفكر
ربي نشره، فمن رافض لكلّ تراثنا بما فيه، إلى
ذ باحثٍ لربطه وتلقيحه بفكر الغرب، إلى
احب نظريات تلفيقية يتقن فن المزج وفن
خلط والتمشيط، إلى عظامي يغرق في وهم
ات أسطورية ضاربة في أعماق التاريخ الآفل،
ن أصدق ما ينطبق على النمط الأول قول
ستاذ رافئيل باتاي في كتابه: Cultural Change
in the Muslim town A challenge foe Resea
«إذا أراد شخص تأثيث منزله على الطراز
الغربي، لم يستطع هذا إلا إذا نحّى الأثاث القديم
ليحلّ محله الجديد، ولكن يرد هنا سؤال: ما الذي
يلزمه أن يتحول هذا التحول الكبير والكامل إلى
الأثاث الغربي؟! لماذا لا يدخل قطعاً معدودة من
الأثاث الغربي، وخاصة تلك التي لا خلاف في
فائدته، مستبقياً من الأثاث التقليدي للوطن
العربي ما لا خلاف في جماله من القطع»[6].

إلا إننا ليس لنا ردٌّ مفحم على رسل الاستشراق
من أبناء العروبة الذين يضطلعون بتكريس
اتجاهات الاستشراق أكثر من ردّ فرايا ستارك
(Freya Stark) وهي من أبناء الغرب القلائل الذين
فهموا روح الحضارة والنفس الغربية أصدق
فهم: «إن أول خطوة في تعاسة الشرق تجيء من
عدم رضا الشرقيين عن قيمهم. فأمام ما يحيط بهم
من بهرج حضارتنا الآلية سرعان ما تبدو الفضائل
المعتصرة من قسوة حياتهم هزيلةً لا نفع فيها ولا
غناء وبذلك يفقد روحهم كرامته في هذا العالم
وإيمانه بالعالم الآخر»[7].

الاتجاهات الحديثة في الاستشراق

إن الاستشراق ينمو ويتطور وقد حدث في
النصف الأخير من هذا القرن أن تحدّث بعض
مفكّري العرب عن استشراقهم، وقاموا بالمهمة
ذاتها التي قام بها المستشرقون، ولعلنا نشير هنا
إلى كتابات أدونيس وربما سعيد عقل، فعصب
الاستشراق الآن «سياسيٌّ» بالدرجة الأولى إلى كونه
(ثقافيّاً) كما يودُّ هشام جعيط أن يقول، برغم أنه
قصره على الثقافة وهو كما يرى إدوارد سعيد: إن
الكتابات الاستشراقية تنوّعات متناثرة لإدراك
[جُيو سياسي] واحد بتمايز الغرب عن الشرق.
وبهيمنة الأول على الثاني، وكما يرى جعيط في
رؤياه للاستشراق أن تفوق أوروبا وتقدمها كان
رهيناً بأواصر العلاقة مع الشعوب المحيطة بها
والأمة العربية أولها، فأوروبا لم تنمّ قدرتها
الخاصة الذّاتية، وأول لقاء تَمَّ بين الشرق
والغرب كان اهتمام الغرب بما هو قديم، ناهيك
بأن عقدة نقص أوروبا في ثقافتها التي بناها

الاستشراق أنها أصيبت بقلق مُزمن. نظراً لأن الإسلام في تميزه واستقلاليته لم تستطع أوروبا أن تحتويه من الخارج أو تتغلغل فيه.

إن هاملتون جب في بحوثه واتجاهاته الاستشراقية الأكثر حداثة يسعى في جدٍّ واجتهاد ليحكم على مدى التغريب، وإلى أيّ حدٍّ تتغلغل المبادىء الغربية، وإلى أي حدٍّ يجري التعليم الغربي في البلاد العربية، ولكن هذا لا يكفي حسب رأيه بل: يجب صرف الاهتمام الأكبر إلى خلق رأي عام بالسيطرة على وسائل الإعلام والاعتماد على الصحافة[٨].

لقد وظف الاستشراق في اتجاهاته الحديثة نتائج العلوم التي توصّل إليها إبان القرن التاسع عشر ـ وهي النتائج التي اعتبرها مسلّماتٍ يقينية وفق الوسائل المنهجية التي استخدمها ـ وظّف هذا الاستشراق كلَّ مسلّماته في مجال تكريس ممارسات سياسية واقتصادية وثقافية.

والتصنيف السياسي لعلماء الاستشراق يهمنا بالدرجة الأولى، فالتيّار [الثقافي الذي يمكن أن نصنِّف فيه فون غرونباوم، يمكن أن نقابله بأنثروبولوجية وسوسيولوجية (جاك بيرك) J. Berque وكذلك ماكسيم رودنسون وإن اختلفا في مجال الفاعلية، فإنهما ينحدران من أصول استشراقية قديمة]، ومَنْ ذا الذي يفصل علم الانثروبولوجيا الحديثة ـ كدراسات إيفانز بريتشر ـ مثلاً عن نتائج الرحالة ونتاج المستشرقين؟!.

إن أوروبا الاستعمارية، وأمريكا أيضاً شجعت «الاستشراق» وأعطته القوة ليستمر «الوعي» بالآخرين، لاستكمال السيطرة وتستمر أمواجها المتلاحقة، لقد اهتمت ـ كما أكد ماكسيم رودنسون ـ «بالأقليات» وربطت جذور هذه الأقلّيات بتيّارات أيديولوجيا الانتماء خارج الوطن. [فمثلاً ـ كان بعض المسيحيين السوريين وبخاصة اللبنانيين الذين يعيشون على شواطيء المتوسط، في تماس مع التأثيرات الأوروبية، ومنذ أقدم الأزمنة كانوا (شعباً) نظروا باستعلاءٍ إلى عرب الدّواخل، باعتبارهم عِرقاً بدائياً متخلفاً عنهم حضارياً.

يقول إدوارد عطيّة: إنه خلال الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء، كان انتصار بريطانيا وحلفائها لنا ـ نحن المسيحيين السوريين ـ تحقيقاً لحلم حلمناه منذ زمن إلى الآن وهو سوريا المتحررة من السيطرة التركية ومن الخوف من المسلمين، ويكشف إدوارد عطيّة سرّه معلقاً على الثورة العربية: (إننا ـ نحن المسيحيين ـ لا نرى مصلحة حقيقية لنا في هذه الحركة][٩].

إذاً فالصراع الجديد، هو صراع من نوع آخر طبيعته التستّر وفق أساليب منطق ومعطيات العصر الجديد، وكما استقلت الشعوب بظهور هيئة الأمم المتحدة، وأن يكون لكل بلد رئيس وحكومة وعَلَمٌ يرفرف، حتى ولو كانت هذه الرموز مفرغة من مضامينها، فكذلك ـ الاستشراق ـ في توجهاته الجديدة أعطى الاستقلال الوطنيَّ للشرق، ولكن بشرط أن يظل هذا الاستقلال لا معنى له، وذلك بأن يقوم بالمهمة ذاتها ـ مهمة الاستشراق ـ أبناء الشرق أنفسُهم، مسخَّرين بين أيدي اختصاصيِّي الصراع الفكري السائرين على أثر أساتذتهم الغربيين لا يختلفون عنهم في شيء سوى في الأسلوب، والمهارة في الطّرح، والإغراق في الفضول، وتزويق الصيغ التي يتبجحون بها ويدّعون بأنها (علمية). دون أن يتهمهم أحد في حسن نياتهم وإبهام أساليبهم المنهجيّة.

وإذا اتفقنا على أن تراث الاستشراق قد تراكم وألَّف ما يسمّى [الوعي بالآخرين] بحيث إن المركزية الأوروبية قد استفادت منه فإننا لا يمكن أن نتجاهل الدّور الاستعماري للاستفادة من نتاج المستشرقين سواء منهم من كان مسخَّراً من قبل المركزية الأوروبية الاستعمارية أو مَنْ كان على حسن نية.

ومنذ بدايات القرن العشرين وحتى هذه الأيام، فإن علماء الاستشراق قد وقفوا مناهج جديدة على

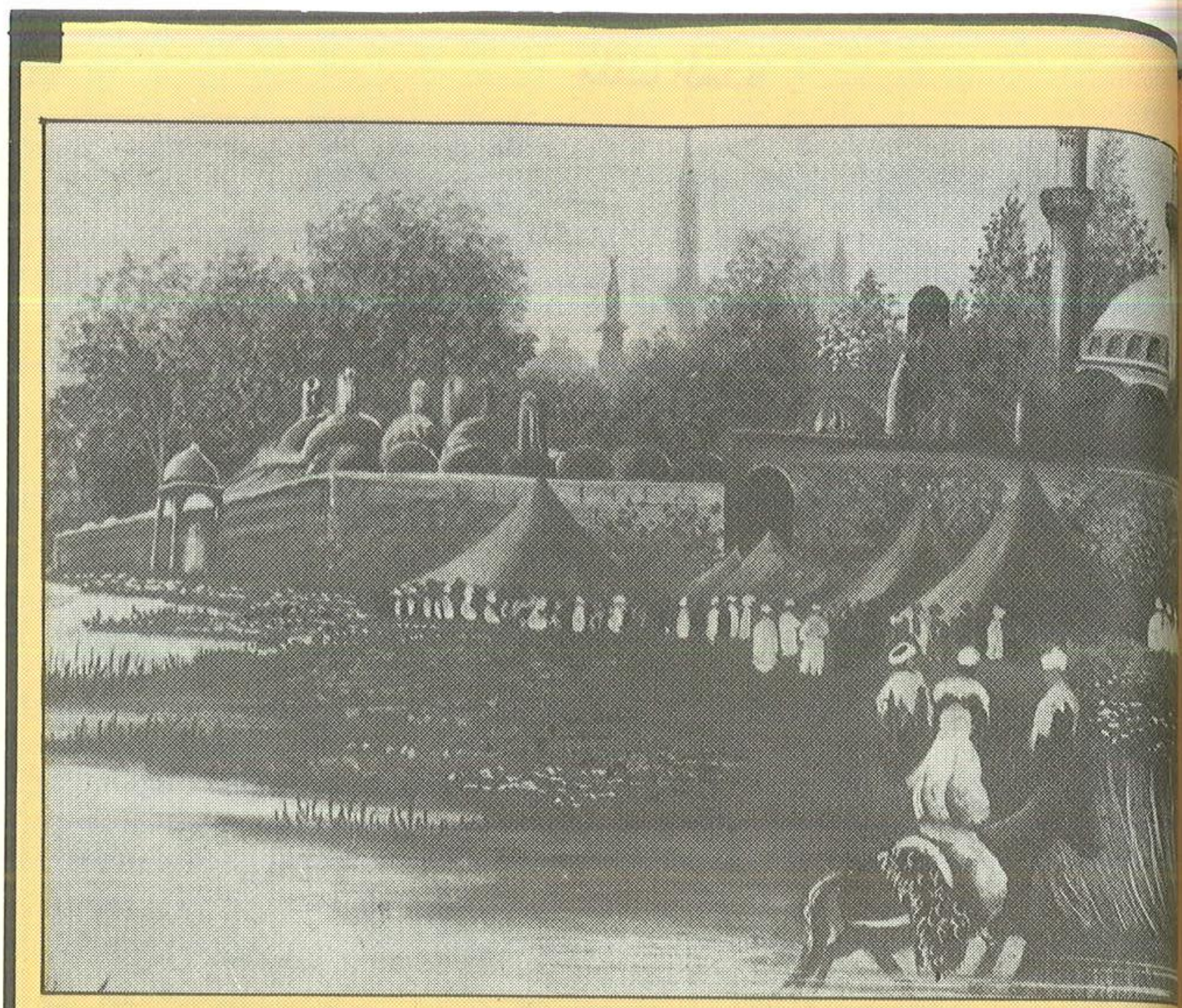

ام بدراساتهم سواء المتعلق منها بالتراث
ربي، أو الفكر الإسلامي، أو المجتمعات
ربية الإسلامية. إن مناهج مثل البنيويّة،
يولوجية، والمادّية التاريخية،
ثروبولوجية، والشك الديكارتي، كلُّها
خدمت وطوِّعت من أجل تحقيق الأهداف.

إذا كان المنهج الدّيكارتي أو الشكّ الديكارتي
استُخْدِمَ أسوأ استخدام في دراسات
ستشراق، وأشيدَ بهذا المنهج على أنه منهج
ي يقود الباحث إلى النهايات أو النتائج
ضوعية، فإن أحداً لم يتناول هذا المنهج أو
ك الديكارتي بالتمحيص أو الشك في [خلفيات]
ستشرقين الثقافية. بل العكس هو الصحيح فإن
اكم المعرفي الثقافيَّ الاستشراقيَّ اعتبر مسلَّمات
رقى إليها شك. فهم يقدمون أحكاماً قاطعة

جاهزة بحثوا لها عن مبررات في كل ما أنتجه الفكر العربيّ الإسلامي.

إن هاملتون جب يؤكد: [إن مصر ظلّت في سبيل تحقيق الديمقراطية والعلم الغربي جاهلةً لمصادرها ومحتقرة إيّاها بعض الاحتقار، فجاء طه حسين وكشف عن أسباب تلك الحالة المتناقضة، فلم يرض عنه تلاميذه أولاً، وعاندوه، ولكنهم ما لبثوا أن انقادوا رويداً رويداً، حيث هاجم الرأي العام المصريَّ بطريقة الشكّ الفلسفي، والرأي المصري غير مستعدٍّ لها وسار يقطع المراحل من إنكار إلى إنكار][10].

إذاً فهذه الشرعية، شرعية استخدام المناهج العلمية، هي في الواقع أسس شرعية الاستعمار إجمالاً قبل تحققه الفعلي وهو الذي أدّى بالدول

الأوروبية للسيطرة على ٣٥٪ من أراضي المعمورة سنة ١٨١٥ وإلى ٨٥٪ منها بعد ذلك بقرن أي في سنة ١٩١٤]»[١١].

ولقد أصبح (العربي) في نظر الاستشراق موضوعاً شائقاً. وفق انتقاءات الاستشراق الثقافية، وكان أن قام الاستشراق بتغييب العربيّ عن زمانه ومستقبله، وبتحويله إلى موضوع لازماني ولا تاريخي، وقد ألصقت به أحياناً صفة السراسنة (الوحشية) و(اللاّعلمية البدائية) ويمكننا أن نصنف طبقات المستشرقين فيما يلي ولا يعني هذا التصنيف أنه دقيق للغاية.

١ ـ طبقة المستشرقين القدامى الذين واكبوا عصر الحروب الصليبية وجلهم اهتم بترجمة القرآن وترجمة الإنجيل إلى العربية.

٢ ـ طبقة المستشرقين الكلاسيكيين الأكاديميين الذين اهتموا بدراسة الأدب العربي القديم وتحقيق المخطوطات العربية النادرة.

٣ ـ طبقة المستشرقين المحدثين الذين اهتموا ـ إلى جانب دراساتهم الأدبية والإسلامية ـ بتقديم الأداة العلميّة والمشورة للاستعمار.

٤ ـ طبقة المستشرقين السيّاسيين أو مستشاري وزارات الخارجية الأوروبية والأمريكية «جاك بيرك» حتى وصل الاستشراق حديثاً إلى زمن المشاريع السياسية الحديثة.

٥ ـ طبقة وكلاء المستشرقين أو ما يسمّى

ع الشرق وهم تلاميذ الاستشراق الحديث
ء الشرق نفسه وقد اهتم بعضهم بنقد
ع التراث وفق مناهج أوروبية.

ما وصل الاستشراق الحديث في اتجاهاته
ع اصبح:

ماسنيون: في نظريته التّطور التاريخي
ثل الإسلام بأنه انعكاس للمسيحية.

هاملتون جب: في نظريته التي يؤكد فيها
ع العقلية العربية. النظرية الذرية
ما الروماني الغامض، ووفق نظريته هذه
الاستشراق البريطاني بالأمريكي.

دخول مناهج ثقافية غربية على يد
ين أو مختصين أمريكيين، وهذا ما حدث
خول الاستشراق الأمريكي الميدان وفق
ج الأنثروبولوجية الجديدة، حيث قدم
الأمريكي ملفن هرسكوفيتز M. Herskovits
ـ ١٩٦٣) مصطلح [التثاقف] أو التزاوج
يشير إلى هذا النوع من دراسات الاتصال
.وهو يشمل حدوث اتصال ثقافي بين ثقافة
واخرى معقّدة، والعلاقة بينها يسودها
والسيطرة ـ وقد حدث هذا الاتصال أيضاً
شعوب الأوروبية المستعمِرة والجماعات
ا تحت سيطرة هذا الاستعمار في أفريقيا
وامريكا اللاّتينية، ونذكر هنا على سبيل
في دراسات التغيّر ما قامت به [مارجريت
ني درست التغيير الثقافي في أحد مجتمعات
الحمر نتيجة احتكاكهم بالمستعمرين
[١٢].

ن ناحية ارتباط الأنثروبولوجيا بدراسة
سات التي سميت «بالبدائية» فهي تسمية
صحيحة وربما غير موفقة، وهي دراسات
لصلتها بتطلعات الاستعمار ومشاريعه

المستقبلية، إذ لا تقتصر الدراسات الأنثروبولوجية على المجتمعات التي سميت [بدائية] Primitive ولكنها اهتمت بالمجتمعات الصغيرة والكبيرة الحضرية والبدوّية أو الريفية القبلية وركزّت على المجتمعات البعيدة المنعزلة التي لم تتصل بالحضارة العربية.

إن الأنثروبولوجيا ـ بصفتها علماً من علوم الإنسان ومن الدرّاسات والمناهج الأكثر حداثة ـ قامت بدور [الاستشراق] وكذلك العلوم الاجتماعية التي تناولت «العالم الثالث» كما اتفق على تسميته [فالعلوم الاجتماعية تزخر أدبياتها بالحديث عن العالم الثالث من جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية]. وبسقوط الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وانسحاب جيوشها. وجدت أمريكا الفرصة مواتية لها، في ملء الفراغ ـ فأعلن الرئيس أيزنهاور D. Eisenhower نظريته: [ملء الفراغ].

وقد قصد بذلك بسط النفوذ الغربي على البلاد الحديثة الاستقلال لا عن طريق الاحتلال، وإنما عن طريق «الاستعمار غير المباشر» المتمثل في التبعية الاقتصادية والتحديث الثقافي على الطريقة الأمريكية، فدعت الحاجة إلى دراسات وتوصيفات لأحوال شعوب العالم الثالث من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وبهذا وجد الأنثروبولوجيون الأمريكيون بصفة خاصة مجالاً جديداً للدراسات.. إلخ. وقد رصدت لذلك المبالغ المالية الكبيرة، إلا أن الأنثروبولوجيون أنفسهم ـ تحت وطأة ما يحدث في العالم الثالث من تغيرات حديثة سريعة ومتلاحقة ـ اضطروا إلى تغيير وحدات الدراسة (بدو ـ ريف ـ حضر) ويجدون أيضاً لزاماً عليهم تغيير المناهج التقليدية[١٣].

هكذا إذاً يُغيِّر الاستشراق أدواتِهِ وأساليبَهُ

وإن ظل الهدف واحداً ولكننا قد نجد من علماء الاستشراق من يتوخَّى [الموضوعية العلمية] ـ إلا أنه للأسف قد وُجِدَ من استخدم دراساتهم الموضوعية أسوأ استخدام. ونظراً لهيمنة الرؤية الأيديولوجية للبرجوازية الأوروبية الاحتكارية على الحركة الاستشراقية بصفة عامة فإن هذا لم يمنع من ظهور اتجاه استشراقي غربي بدأ في نظرته لواقع وتاريخ الثقافة غير الغربية أكثر إنصافاً واختفت لديه كثير من عناصر البنية الأيديولوجية التي كان يدور في فلكها الاستشراق عند بدايته. إلا أن ظهور بعض المستشرقين الذين يمثلون هذه النزعة الإنسانية لا ينبغي أن يقودنا إلى المبالغة في تقديم مظاهر التقدم التي تحققت بفضل قيام هذه النزعة. وذلك لأن هؤلاء المستشرقين لم يستطيعوا أن يتجاوزوا بصفة كاملة الرؤية الأيديولوجية للبرجوازية الأوروبية وظل فكرهم في كثير من عناصره يدور في فلك نزعة المركزية الأوروبية. هذا فضلاً عن بعض العناصر الأيديولوجية الجديدة التي ظهرت لديهم وبفعل وجودهم في مرحلة تاريخية أخرى غير التي عرفها الاستشراق في بدايته.

هوامش

(١) أنظر الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين ـ مصطفى نصر المسلاتي ـ ط دار إقرأ ـ روما إيطاليا.

(٢) جوستاف قرونباوم: حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ـ دار مصر للطباعة ـ سلسلة الألف كتاب، ص ٥٦ وما بعدها.

(٣) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، بحوث ودراسات إسلامية ـ جمع وتقديم محمد خلف الله، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ص ٥٧.

(٤) ملامح الاستشراق الفني ـ الحياة الثقافية ـ علي اللّواتي ـ السنة الرابعة في شهر الماء «مايو» ١٩٧٩ ص ٤٣.

(٥) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات إسلامية ـ جمع وتقديم محمد خلف الله ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) أنظر ـ WINTER IN ARABID. F. STARK LONDON 1954. P.44.

(٨) أنظر الاستشراق السياسي ـ فهرس المراجع.

(٩) المثقفون العرب والغرب/ هشام شرابي ـ دار النهضة للنشر بيروت ـ د، ت، ص ٣٦.

(١٠) مجلة المستقبل العربي ـ عصب الاستشراق ـ عدد ١٩٨١/١/٢٣، ص ٧.

(١١) مجلة المستقبل العربي ـ عصب الاستشراق ـ عدد ١٩٨١/١/٢٣، ص ٧.

(١٢) مجلة عالم المعرفة ـ سلسلة عالم المعرفة ـ قصة الانثروبولوجيا، د. حسين فهيم ـ ص ٩٨.

(١٣) نفس المصدر السابق.